مقياس أثر القراءات في التفسير

لطلبة السنة الثانية ماستر

تخصص: التفسير وعلوم القرآن

الجزء: 1

المطلب الأول: القراءات والتفسير:

الفرع الأول: تعريف القراءات لغةً واصطلاحًا.

الفرع الثاني: نشأة علم القراءات وأسباب اختلاف القراء فيها.

الفرع الثالث: أركان القراءات المقبولة.

الفرع الرابع : تعريف التفسير، وأنواعه.

المطلب الثاني: أثر القراءات في التفسير.

المطلب الأول: القراءات والتفسير:

الفرع الأول: تعريف القراءات لغةً واصطلاحًا

أولاً: تعريف القراءة لغةً:

القراءات جمع قراءةٍ، وهي مصدر الفعل قرأ، يقال: قرأ، يقرأ، قراءةً، وقرآنًا بمعنى تلا فهو قارئٌ،[1] "وقرأ الكتاب قراءةً، وقرآنًا، تتبع كلماته نظرًا ونطق بها، وتتبع كلماته ولم ينطق بها".[2]

قال ابن منظور: "ومعنى القرآن معنى الجمع، وسُمِّيَ قرآنًا لأنَّه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: (إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) القيامة(17) أي: جمعه وقراءَتَه ... وقَرَأْتُ الشيء قرءانًا: جمعتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سلىً قط، وما قرأت جنينًا قط، أي: لم يَضطمَّ رَحِمُها على ولدٍ".[3]

ثانيًا: تعريف القراءات اصطلاحًا:

للعلماء في تعريف القراءات اصطلاحًا عدة تعريفاتٍ من أبرزها تعريف:

1. بدر الدين الزركشي: "القرآن هو الوحي المنزَّل على محمدٍ ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها، من تخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرهما".[4]
2. ابن الجزري: "القراءات علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة".[5]

---

[1]. انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي ص47.

[2]. المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس وآخرون ص756.

[3]. لسان العرب لابن منظور ج1 ص128.

[4]. البرهان في علوم القرآن للزركشي ج1 ص318.

[5]. منجد المقرئين لابن الجزري ص3.

3. أحمد بن عبد الغني الدمياطي: "علم القراءات علمٌ يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات، والتجريد والتسكين، والفصل، والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، وغيره من حيث السماع".[1]
4. عبد العظيم الزرقاني: "القراءات مذهبٌ يذهب إليه إمامٌ من أئمة القراء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات، والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيئاتها".[2]
5. عبد الفتاح القاضي: "هو علمٌ يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا، مع عزو كل وجه إلى ناقله".[3]

وبالنظر في التعريفات السابقة يظهر أنها تدور حول محور واحد وأنَّ تعريف الإمام ابن الجزري من أخصر وأجمع وأضبط التعريفات في القراءات، حيث يقول بعد هذا التعريف: " والمقرئ العالم بها رواها مشافهةً فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه ممن شوفه به مسلسلاً لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة".[4]ومن خلال ما سبق يتضح ما يلي:

1. أنّ مدلول القراءات يشمل ألفاظ القرآن المتفق عليها والمختلف فيها.
2. أنَّ المعتمد في تلقي القراءات هو السماع والمشافهة عمَّن أخذها سماعًا ومشافهةً عن شيوخه، مسلسلاً إلى النبيﷺ.

الفرع الثاني: نشأة علم القراءات، وأسباب اختلاف القراء فيها:

الحديث عن القراءات القرآنية ونشأتها يرتبط بالمراحل الأولى التي تلقى فيها النبي ﷺ آيات القرآن الكريم ومن ثم تبليغها للصحابة رضوان الله عليهم، وكيفية تلقي الصحابة هذه الآيات من رسول الله ﷺمشافهةً تلقيًا مباشرًا وبدون وساطةٍ، بما يتعلق به من حركة الفم، واللسان، والشفتين عند النطق بالحرف، وجهود الصحابة الكرام في نشر معاني هذه الآيات ومراد الله تعالى منها مع العناية بالحفاظ على نقلها للناس كما تلقوها من فمِ النبيﷺ.

لقد جاءت آياتٌ كثيرةٌ لتبيِّن كيف كان النبي ﷺ يتلقى القرآن من جبريل عليه السلام وتُؤكدُ أمر تكفل الله تعالى بحفظ هذا القرآن، وتعليمه للنبي ﷺ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٦﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾[القيامة 16-17]، فكان رسول الله ﷺ

[1]. إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص6.

[2]. مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج1 ص405.

[3]. البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي ص51.

[4]. منجد المقرئين لابن الجزري ص3.

بعد نزول هذه الآية إذا أتاه جبريل عليه السلام، استمع له وأنصت، فإذا انطلق جبريل، قرأه النبيﷺ كما تلقَّاه من جبريل عليه السلام، وهذا يدل على أن النبيَّ ﷺ كان يُقرئ صحابته القرآن كما تلقَّاه من جبريل عليه السلام دون زيادةٍ أو نقصانٍ أو تغييرٍ[1].

وعلى الطريقة ذاتها سار الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم من التابعين يعلمون النَّاس قراءة القرآن وأحكامه، وهكذا تلقى المسلمون القرآن، خلفًا عن سلفٍ، وأخذوه ثقةً عن ثقةٍ، حتى ينتهي الأمر إلى الصحابة الكرام، ثم إلى الرسول ﷺ فالمبدأ الأساس في نقل القرآن هو المشافهة، والتلقي، بأن يجلس المتعلم أمام المقرئ المعلم أو يسمع منه كيفية النطق بكلمات القرآن، ويرى حركة فمه، ولسانه وشفتيه، عندما ينطق بها، ويتلقى ذلك منه تلقيًا مباشرًا، ثم يقرأ القرآن عليه، ليُجَود ويُصَحح ويُحسن قراءته وترتيله.

ومن رحمة الله تعالى بالأمَّة الإسلامية، وتوسعةً عليهم، ورفعًا للحرج عنهم أنزل القرآن على

نبيِّه على سبعة أحرفٍ وبها أقرأ صحابته، وأقرأ كل قبيلةٍ بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم، مراعيًا بذلك لهجاتهم في النطق واللفظ، فقومٌ جرت عاداتهم بالهمز، وقومٌ بالتخفيف، وقومٌ بالفتح، وقومٌ بالإمالة، وكذلك اختلافهم في الإعراب وغيره، ولأجل هذا أباح الله تعالى لنبيِّه أن يُيَسِّرَ على النَّاس، ويقرئَ كلَّ قبيلةٍ بما يَتَيَسَّر عليها، ويدل على ذلك أحاديثُ كثيرةٌ منها: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: (أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرفٍ).[2]

فكان كل صحابي يقرأ على الحرف الذي علمَّه إياه رسول الله ﷺ وكلَّما وقع اختلافٌ بين الصحابة في القراءة كانوا يحتكمون إلى النبي ﷺ فيفصل بينهم ويُقرُّ كلاً على قراءته بقوله: (إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسَّر منه).[3] ثم تفرَّق الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان، وصار كلُّ واحدٍ منهم يعلم أهل البلد القراءة التي تلقَّاها عن رسول الله ﷺ بما فيها من اختلافٍ في بعض كيفياتها عن قراءة الصحابي الآخر في بلدٍ آخر، فاختلف أخذ التابعين عن الصحابة، كما اختلف أخذ أتباع التابعين عن شيوخهم، وهكذا حتى وصل الأمر إلى القراء المشهورين الذين انقطعوا للقراءات والإقراء واعتنوا بها، وضبطوها وكرَّسوا حياتهم لأجلها، واختار كلُ واحدٍ منهم من القراءات الكثيرة قراءةً لزمَ القراءة والإقراء بها، وظلَّ المسلمون يقرءون القرآن على عددٍ كبيرٍ من القراء إلى أنْ بدأ العلماء في تصنيف القراءات فذكر بعضهم خمسة عشرَ رجلاً، وبعضهم ذكر اثنين وعشرين رجلاً، وبعضهم ذكر أقل من ذلك إلى أن جاء ابن مُجاهدٍ في بداية القرن

[1]. انظر الاختلاف في القراءات القرآنية وأثرها في اتساع المعاني للدكتور إياد السامرائي، الشبكة الإلكترونية ص1-4.

[2]. صحيح البخاري كتاب: فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ج4 ص1909، ح 4705، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف (ج1 ص561، ح819)

[3]. صحيح البخاري كتاب: فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ج4 ص1909، ح 4706، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف (ج1 ص560، ح818).

الرابع الهجري، فأَحَبَّ أن يجمع المشهور من قراءات الأمصار فاختار السبعة،[1] وهؤلاء السبعة هم ممن اشتهرت إمامتهم، وطال عمرهم في الإقراء، وارتحل الناس إليهم، ثم تابعه الناس على اقتصاره على هؤلاء السبعة، ثم ألحق المحققون بهؤلاء السبعة ثلاثةً آخرين، وهم: يعقوب الحضرمي، وخلف، وأبو جعفر بن قعقاع المدني،[2] وأصبحت القراءات المتواترة على رأي العلماء عشر قراءات، وذكر ابن الجزري أنَّ القراءات العشر لم ينكرها أحدٌ من الأئمة، وأثبت تواترها بذكر طبقات رواتها.[3] وبهذا أصبحت القراءات العشر هي القراءات المتداولة والمشهورة بين الناس، وأمَّا غير ذلك من القراءات فتعتبر شاذة، ولا يعتد بها.

وبناءً على ما تقدم يتضح أنَّ الاختلاف في القراءات القرآنية وتعددها كان بسبب الأحرف السبعة التي أنزل الله تعالى القرآن عليها وأمر نبيَّه بأن يقرئ كل قبيلة بلغتها تيسيرًا عليهم ورفعًا للحرج عنهم، وأنَّ هذا الاختلاف الحاصل في القراءات القرآنية كان فيما يحتلمه خط المصحف ورسمه، وما كان كتابة المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه غير مشكولةٍ ولا منقوطةٍ إلا لتشمل تلك القراءات، وهذه القراءات العشر المنقولة عن الأئمة العشرة المتواترة إلى النبي ﷺ لا تخرج عن الأحرف السبعة.

الفرع الثالث: أركان القراءة المقبولة:

لقد مرَّت القراءات القرآنية بمراحل متعددةٍ، بدءًا من حياة النبي ﷺ عندما أنزل الله تعالى عليه القرآن على سبعة أحرف، ليقرئ كل قبيلةٍ على حرفها ولغتها تيسيرًا عليهم، ثم نقل الصحابة رضوان الله عليهم وجوه القراءات التي تلقوها من النبي ﷺ إلى جمهور المسلمين، بعد حفظها وضبطها، ومن ثمَّ تلقَّاها عنهم التابعون الذين بذلوا الجهود المضنية في حفظها وضبطها، وتعليمها للنَّاس، واستمر الأمر على هذا الحال، كلُّ جيلٍ يسلِّمُ القراءة لمن بعده كما قرأها وتعلمها، حتى كثر عدد القرَّاء في البلاد والأمصار، واختار كلُّ إمامٍ من أئمة القراءات قراءةً ألزم نفسه بها، وأقرأ غيره بها، واختار المسلمون أئمةً ثقاتًا اشتهروا بالعدالة والضبط، وتجردوا للقراءة والإقراء، وأفنوا أعمارهم في خدمته، ليجمعوا قراءتهم عليه، ثمَّ كثر القرَّاء بعد ذلك، وتفرقوا في البلاد والأمصار، وانتشروا في كلِّ ميدانٍ، وخلفهم أُمَمٌ بعد أممٍ، اختلفت صفاتهم، وتعددت رواياتهم، وكثر الاختلاف بينهم، وكاد يلتبس الباطلُ بالحقِّ، فتصدى جهابذة علماء الأمة، للقراءات فمحصوها وميزوا سقيمها وعليلها من صحيحها وسليمها، ثم وضعوا لذلك ضوابط معيَّنةً للحكم على القراءات بالقبول، أو الرَّدِّ، وتمييز الصحيح من الشاذ[4]، فقسَّم العلماء القراءات القرآنية إلى قسمين رئيسين هما: القراءة المقبولة، والقراءة الشاذة.

---

[1]. انظر منجد المقرئين ص20-22، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها لحسن عتر ص298-299.

[2]. انظر البرهان ج1 ص330.

[3]. انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج1 ص40.

[4]. انظر النشر في القراءات العشر ج1 ص9، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص317، مناهل العرفان ج1 ص411.

وأمَّا القراءة المقبولة فهي القراءة التي توافرت فيها ثلاثة أركانٍ، ويعبِّر عنها ابن الجزري: بقوله: "كل قراءةٍ وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحلُّ إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على النَّاس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلَّ ركنٌ من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفةٌ أو شاذةٌ أو باطلةٌ سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة السلف والخلف."[1]

ومن خلال كلام ابن الجزري نلحظ أنَّه حصر ضابط القراءة في ثلاثة شروط يتوقف على توفرها جميعًا في القراءة قبولها، أوردّها إذا اختلَّ شرطٌ من هذه الشروط وهي:

1. موافقة العربية ولو بوجهٍ.
2. موافقة خط أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.
3. صحة السند.

تفصيل الضابط:

1. موافقة العربية ولو بوجه: أي أن تكون القراءة موافقةً لوجهٍ من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحًا، مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه اختلافًا لا يضرُّ مثله إذا كانت القراءة ممَّا شاع وذاع، وتلقَّاه الأئمة بالإسناد الصحيح، ولا يعتد بإنكار أهل النحو لقراءةٍ أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها.[2]

2. موافقة خط أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً: يكفي لتحقق هذا الشرط أن تكون القراءة ثابتة في بعض المصاحف العثمانية دون بعض، ولا يشترط أن تكون الموافقة صريحة، بل يكفي أن توافقها تقديرًا إذ يحتملها الخط احتمالاً.[3]

3. صحة السند: أي: أن يروي تلك القراءة، العدل الضابط عن مثله وكذا حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ من غير شذوذٍ ولا علَّةٍ ويشترط في هذه القراءة أن تحظى بثقة أئمة القراءات الضابطين بحيث تكون مشهورةً لديهم متلقاةً بالقبول.[4] وكان ابن الجزري في كتابه منجد المقرئين قد اشترط التواتر لصحة القراءة[5] إلاَّ أنَّه عدل عن هذا الشرط إلى اشتراط صحة السند مع كون القراءة مشهورة متلقاة لدى أئمة القراءات بالقبول.

الفرع الرابع : التفسير وأنواعه:

تعريف التفسير:

---

[1]. النشر في القراءات العشر ج1 ص9.

[2]. انظر النشر في القراءات العشر ج2 ص10.

[3]. انظر النشر في القراءات العشر ج2 ص11.

[4]. انظر الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص320.

[5]. انظر منجد المقرئين ص15-16.

لغة: من فَسَر: قال في لسان العرب: الفَسْرُ: البيان، فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر، وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً، وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مثله.

وقال أيضا: الفَسْرُ: كشف المـُغَطّى[1].

اصطلاحا: الشرح والبيان للقرآن الكريم[2].

الفرق بين التفسير والتأويل:

التأويل:

لغة: **في لسان العرب**: من آلَ الشيءُ يَؤُول إِلى كذا أَي: رَجَع... وأَوَّلَ الكلامَ وتَأَوَّله: دَبَّره وقدَّره، وأَوَّله وتَأَوَّله: فَسَّره[3].

اصطلاحا:

- يطلق على بيان كلام الله تعالى، وهذا يحمل معنى التفسير، وهو ما عناه ابن جرير من قوله: القول في تأويل الآية، أي: تفسيرها.
- ويطلق التأول أيضا على صرف اللفظ عن ظاهره كما قال الجرجاني: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله[4].
- وقيل: التفسير يتعلق بالرواية، ويتعلق التأويل بالدراية، فيكون المفسر ناقلا، والمأوّل مستنبطا[5].

أهميته:

علم التفسير من أهم العلوم التي ينبغي لطالب العلم العناية بها إذ أن شرف العلم بشرف المعلوم.

قال الإمام ابن عطية فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أُعِدُّ أنواره لظُلَمِ رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتنها حبالاً، وأرسخها جبالاً، وأجملها آثاراً، وأسطعها أنواراً، علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدست أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين

[1] لسان العرب، 55/5.

[2] مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد الطيار، ص 64.

[3] لسان العرب، 32/11.

[4] التعريفات، ص 90.

[5] ينظر: البرهان، 286/2.

يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، هو العلم الذي جعل للشرع قواماً، واستعمل سائر المعارف خداماً ... »[1].

نشأته:

هو أول علوم القرآن نشأةً إذ ظهر في عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – ففهم الصحابة القرآن الكريم بسليقتهم العربية الأصيلة إلا ما أشكل عليهم أحياناً فيسألون عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليجيبهم عن استفهامهم.

فأخذوا القرآن الكريم عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لفظاً ومعنى، قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

وفي عصر التابعين لقن الصحابة القرآن الكريم لمن بعدهم كما لقن التابعون لمن دونهم بتفسيره مشافهه وكتابة، وبعد القرن الثالث أخد التفسير منحنى آخر حيث فسر كل عالم القرآن حسب تخصصه العلمي.

أقسام التفسير:

ينقسم التفسير في مجمله إلى قسمين:

الأول: التفسير بالرواية:

وهو ما تفسر به الآية من كتاب الله تعالى، إما بآية أخرى، أو حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من كلام صحابي أو تابعي.

طرق التفسير بالرواية:

طرق التفسير بالرواية والنقل أربعة هي:

الطريق الأول: تفسير القرآن بالقرآن:

وهذا الطريق أجلها وأصحها، لأنه لا أحد أعلم من الله بكلامه، ولأن النبي – صلى الله عليه وسلم – فسّر القرآن بالقرآن.

مثاله:

روى البخاري في صحيحه عن عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شقّ ذلك على أصحاب رسول الله – صلى الله

[1] المحرر الوجيز، ص 14.

عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه:﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: 13][1].

الطريق الثاني: **تفسير القرآن بالسنة**، وذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر بتبيين القرآن، وهو أعلم الناس بمراد الله تعالى. قال تعالى في سورة النحل ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ، وقال في سورة الجمعة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ .

مثاله:

1 . روى الترمذي في سننه عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانا فأحبه، قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم: 96]، وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريل: إني قد أبغضت فلانا، فينادي في السماء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض[2].

فمعنى: ﴿ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾: إني قد أحببت فلانا فأحبه.

2 . روى مسلم في صحيحه عن أنس، قال: بينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: أنزلت علي آنفا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر: 1 – 3]، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك[3].

الطريق الثالث: **تفسير القرآن بأقوال الصحابة**: وذلك لأنهم شاهدوا الوحي، وعايشوا التنزيل، وهم أعلم الناس باللسان العربي.

وقد اشتهر جماعة من الصحابة بتفسير كتاب الله تعالى إما نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو باجتهادهم.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ ﴾...، 444/2.

[2] سنن الترمذي، أبواب التفسير، باب ومن سورة مريم، 224/5.

[3] صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، 300/1.

ومن الصحابة الذين نقل عنهم الكلام في التفسير:

الخلفاء الأربعة.

عبد الله بن عباس في مكة.

أبيّ بن كعب في المدينة.

عبد الله بن مسعود في الكوفة.

أبو الدرداء في الشام. وغيرهم.

الطريق الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين:

تتلمذ التابعون على يد الصحابة فأخذوا عنهم علم التفسير، وغيره من العلوم، وممن اشتهر عنهم التفسير في هذه المرحلة:

سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة مولى بن عباس، وطاوس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح، وهؤلاء من مدرسة ابن عباس في مكة.

أبو العالية، ورفيع بن مهران الرياحي، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم، من مدرسة أبيّ في المدينة.

علقمة بن قيس النخعي، ومسروق بن الأجدع الهمداني، والأسود بن يزيد النخعي، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي، من مدرسة عبد الله بن مسعود في العراق[1].

الثاني: التفسير بالدراية:

ويقصد به التفسير بالرأي والاجتهاد، وذلك بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومعرفة دلالات الألفاظ، وغيرها من العلوم.

وينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين هما:

تفسير بالرأي المحمود:

وهو التفسير الذي جرى على موافقة كلام العرب، ومناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب والسنة، ومراعاة سائر شروط المفسر[2].

تفسير بالرأي المذموم:

وهو التفسير الذي جرى على غير قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير[3].

---

[1] علم التفسير، محمد حسين الذهبي، ص 31.

[2] التفسير والمفسرون، 1/188-189.

[3] التفسير والمفسرون، 1/188-189.

العلوم الواجب توفرها في المفسر:

يجب على المفسر أن يحصل جملة من العلوم حتى يحق له الكلام في كتاب الله تعالى، وهذه العلوم هي:

1. علوم العربية: من لغة ونحو وصرف وبلاغة.

2. علم أصول الفقه.

3. علوم القرآن: كعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول وغيرها.

المطلب الثاني: أثر القراءات في التفسير:

الفرع الأول : علاقة القراءات بالتفسير

إنَّ لتعدد القراءات القرآنية واختلافها فوائد جليلةً وآثارًا بالغةً في تفسير كتاب الله تعالى واستنباط المعاني الجديدة واتساعها، ولكن من غير تناقضٍ في المعاني أو تباينٍ بينها، فالاختلاف الحاصل بين القراءات اختلاف تنوعٍ وتغايرٍ لا اختلاف تضادٍ وتناقضٍ، وفي ذلك يقول ابن الجزري: "وأمَّا حقيقة اختلاف هذه السبعة أحرف المنصوص عليها من النبيﷺ وفائدته، فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوعٍ وتغايرٍ لا اختلاف تضادٍ وتناقضٍ، فإنَّ هذا محالٌ أن يكون في كلام الله تعالى، قال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا)النساء(82)".[1]

لا شك أنَّ القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني، إذ إنَّ كلَّ قراءةٍ بمنزلة الآية، وتعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات من غير تناقضٍ ولا تضادٍ بينها في المعاني، فبتعدد القراءات تتسع المعاني وتتعدد، وفي هذا يقول الشيخ الزرقاني: "إن تنوع القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضربٌ من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز. أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أنَّ القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضًا، ويبين بعضه بعضًا ويشهد بعضه لبعضٍ، على نمطٍ واحدٍ في علو الأسلوب والتعبير، وهدفٍ واحدٍ من سموِّ الهداية والتعليم، وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف".[2]

---

[1]. النشر في القراءات العشر ج1 ص49.

[2]. مناهل العرفان ج1 ص 142، انظر النشر في القراءات العشر ج2 ص52.

ومن خلال ما سبق يتضح ما للقراءات من أثرٍ بالغٍ في تفسير كتاب الله تعالى واستنباط المعاني الجديدة واتساعها، إذ إنَّ كل قراءة توضح وتبين معنًى جديدًا لم تبينه القراءة السابقة، وقد أرجع العلماء اختلاف القراءات القرآنية إلى سببين:

الأول: ما كان سببه يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية، والذي من أجله نزل القرآن على سبعة أحرفٍ تيسيرًا على الناس ورفعًا للحرج عنهم، وذلك كالاختلاف في تحقيق الهمز وتسهيله، والإمالة والفتح، ونحو ذلك.

الثاني: ما كان سببه يرجع إلى خاصيةٍ في القرآن نفسه وهو الإعجاز، كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو إلى صيغة التكلم.[1]

قال ابن عاشور في مقدمة تفسيره: "أرى أنَّ للقراءات حالتين: إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحالٍ، والثانية لها تعلقٌ به من جهاتٍ متفاوتةٍ.

أمَّا الحالة الأولى: فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد، والإمالات، والتخفيف، والتسهيل، والتحقيق، والجهر والهمس، والغنة. مثل عذابِيْ بسكون الياء، وعذابِيَ بفتحها، وفي تعدد وجوه الإعراب مثل (حتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) بفتح لام (يقول) وضمها.... ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنَّها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها، وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق بتلقي ذلك عن قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة، وهذا غرضٌ مهمٌ جدًا لكنَّه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآي[2].....

وأمَّا الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل: (مَالِكِ يَومِ الدِّينِ) (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الفاتحة(4) و(نُنْشِزُها)، (نُنْشِرُها) البقرة(259)، و(ظَنُّوا أنَّهُم قد كُذِّبوا) يوسف(110) بتشديد الذال أو (قد كُذِبوا) بتخفيفه، وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل كقوله: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلا إذّا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّون) الزخرف(57) قرأ نافع بضم الصاد، وقرأ حمزة بكسر الصاد، فالأولى بمعنى: يصِدُّون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى صدودهم في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصلٌ منهم، وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلقٍ بالتفسير، لأنَّ ثبوت أحد اللفظين في قراءةٍ قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنًى غيره، ولأنَّ اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة نحو (حتى يطَّهَّرْن) البقرة (222) بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة، وبسكون الطاء، وضم الهاء مخففة، ونحو (لامَسْتُم النِّسَاءَ) و(لَمَسْتُم النِّسَاءَ) النساء(43) والظن أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر، تكثيرًا للمعاني..... وأنا أرى أن على المفسر أن يبيِّن

---

[1]. انظر منهج الإمام الطبري في القراءات، رسالة ماجستير للدكتور عبد الرحمن الجمل ص97.

[2]. بعض العلماء أشار إلى معاني تؤخذ من هذا النوع من اختلاف القراءات، وهذا ما تبيَّن أثناء البحث.

اختلاف القراءات المتواترة لأنَّ في اختلافها توفير معاني الآية غالبًا، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن[1]".

وقال ابن الجزري: "وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ، والمعنى واحد.

الثاني: اختلافهما جميعًا مع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ.

الثالث: اختلافهما جميعًا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

فأمَّا الأول: فكالاختلاف في (الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغاتٌ فقط.

وأمَّا الثاني: فنحو (مَالِكِ، وَمَلِكِ) في الفاتحة لأنَّ المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه، وكذا (يَكذِبون، ويُكَذِّبون) لأنَّ المراد بهما هم المنافقون.......

وأمَّا الثالث: فنحو (وظنُّوا أنَّهم قد كُذِّبُوا) بالتشديد والتخفيف.... فأمَّا وجه تشديد (كُذِّبُوا) فالمعنى وتيقن الرسل أنَّ قومهم قد كذَّبوهم، ووجه التخفيف، توهم المرسل إليهم أنَّ الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به فالظن في الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم".[2]

ومن خلال ما سبق يتضح تقسيم العلماء للقراءات من حيث أثرها في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: وهو قراءاتٌ لها أثرٌ في التفسير:

كاختلاف القراء في حروف الكلمات مثل (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) و(مَلِكِ يَومِ الدِّينِ) الفاتحة(4)، وكاختلافهم في الحركات التي يختلف معها معنى الفعل مثل (يصِدُّون) و(يصُدُّون) فهذا الاختلاف في القراءات له أثرٌ في التفسير وإضفاء معانٍ جديدةٍ على الآي، وهذا القسم على نوعين:

1. ما اختلف لفظه ومعناه مع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ.
2. ما اختلف لفظه ومعناه مع عدم جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ بل يتفقان من وجهٍ آخر لا يقتضي التضاد.

القسم الثاني: وهو قراءاتٌ ليس لها أثرٌ في التفسير:

[1]. التحرير والتنوير لابن عاشور م1 ج1 ص51-56.

[2]. النشر في القراءات العشر ج1 ص50.

كاختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، وكمقادير المد، والإمالات، والتخفيف، والتسهيل والتحقيق، والجهر والهمس، والغنة والإخفاء، فهذا الاختلاف في القراءات على رأيهم ليس له أثرٌ في إضفاء معانٍ جديدةٍ على الآي، وإنَّما هي للتيسير ورفع الحرج عن الأمة، وهذا القسم على نوعين:

1. ما اختلف لفظه واتحد معناه.
2. ما اتحد لفظه ومعناه ممَّا يتنوع صفة النطق به.

وبالنظر إلى التقسيم الذي ذكره العلماء يُلاحظ أنَّهم جعلوا قسمًا من القراءات القرآنية ليس له علاقة بالتفسير لاتحاد المعنى، ونسبوه إلى اختلاف اللغات، أو اختلاف وجوه النطق بالحروف والحركات، أو تعدد وجوه الإعراب، ولكن من خلال الدراسة التطبيقية للقراءات القرآنية وأثرها في التفسير ظهرت بعض الفروق الدقيقة في المعنى بين القراءات التي عزاها المفسرون إلى هذا النوع من اختلاف القراءات، وسيأتي ذكر الشواهد على ذلك أثناء البحث.

وبناءً على ما سبق فلا يمكن أن نجزم بعدم وجود أثرٍ في التفسير لمثل هذا النوع من اختلاف القراءات، فبمزيدٍ من البحث والتنقيب في معاني القراءات ومدلولاتها قد يتوصل الباحثون إلى فروق في المعاني بين هذه القراءات يكون لها أثرٌ بالغٌ في تفسير كتاب الله تعالى، ولذلك يقترح الباحثان تقسيمًا آخر للقراءات من حيث أثرها في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: وهو قراءاتٌ لها علاقة بالتفسير، وهو على نوعين:

1. ما له علاقة واضحةٌ وجليةٌ بالتفسير.
2. ما له علاقة خفية غير واضحةٌ بالتفسير يمكن التوصل إليها بالبحث والدراسة.

القسم الثاني: وهو قراءاتٌ لا يظهر لها علاقة بالتفسير، ولكن لا نجزم بعدم وجود أثرٍ لها في التفسير فقد يتوصل الباحثون مستقبلاً إلى وجود بعض الفروق في المعاني بين هذه القراءات المختلفة.

الفرع الثاني: أمثلة على أثر القراءات في التفسير

لقد تعددت أوجه الاختلاف في القراءات القرآنية لتتسع المعاني في الآية القرآنية ولتتحقق مقاصد الله تعالى من إرادة أكثر من معنًى في الآية الواحدة، أو إضافة دلالاتٍ أخرى في السياق القرآني موضع القراءة القرآنية لا تتحقق إلاَّ بها، وسيقتصر الباحثان في هذا المقام على ذكر نماذج تطبيقية من القراءات المتواترة لوجوه متعددة من أوجه اختلاف القراءات على سبيل الاستشهاد بها لا على سبيل الحصر.

أولاً: اختلاف القراءات بالحذف والإثبات:

1- قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: 28].

القراءات:

1. قرأ أبو جعفرٍ، ونافعٌ، وابن عامرٍ ﴿ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾ بغير فاء.
2. قرأ الباقون ﴿ فَبِمَا كَسَبَتۡ ﴾ بالفاء.[1]

المعنى اللغوي للقراءتين:

"الكسب: ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظٍ ككسب المال، وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة، ثم استجلب به مضرَّة، والكسب يقال: فيما أخذه لنفسه ولغيره".[2]

التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينبِّه الله تعالى الناس إلى أن ما أصابهم من مصائب في النفس أو الأهل أو المال، وما أصابهم من بؤس وشقاء إلا بسبب معاصيهم التي اكتسبوها وأصابوها بأيديهم، على الرغم من أنَّ الله تعالى برحمته يتجاوز عن كثيرٍ من الذنوب فلا يعاقبهم عليها.

"ويظهر والله أعلم أن الذنوب نوعان، نوعٌ يعذب الله صاحبه في الدنيا لأنه هيِّن بسيطٌ فيصيبه بسببه مرضٌ أو ألمٌ، ونوع عذابه شديد فهو في الآخرة فقط، وإذا أحب الله عبدًا عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا كرهه لسوء عمله تركه يقترف من السيئات ما شاء، ثم يأخذه أخذ عزيزٍ مقتدرٍ لحسابٍ عسيرٍ وعذابٍ شديدٍ، وقد ينال الإنسان منا بعض الألم تكفيرًا له عن ذنوب أو زيادةً له في الثواب، والله يعفو عن كثير من الذنوب عفوًا مع القدرة الكاملة"[3] فلا يعاقبهم عليها.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

---

[1]. انظر المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني ص243، تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة لابن الجزري ص202.

[2]. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص710.

[3]. التفسير الواضح لمحمد حجازي م3 ج25 ص24، انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج8 ص352..

أفادت قراءة ﴿ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الإخبار من الله تعالى عن سبب المصائب التي تقع على الناس على سبيل الجواز والعموم بدون تعيين السبب، و(ما) في ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ بمعنى: الذي، وهي مبتدأ وخبره ﴿ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ ولا تتضمن معنى الشرط، فالمعنى: والذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم،[1] لأنَّ ما الشرطية تدل على التسبب، أما الموصولية فتدل على الإيماء إلى جملة الخبر على الجواز، فقد يراد به واحدٌ بعينه أو غيره بالقرينة.

وأمَّا قراءة ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ ﴾ فقد أخبرت عن سبب المصائب التي أصابتهم على وجه التعيّن، فتكون ما شرطية أو متضمنة معنى الشرط، والفاء رابطة لجواب الشرط ﴿ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ ويكون وقوع فعل الشرط ماضيًا للدلالة على التحقق،[2] "والمعنى: ما تصبكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم"[3]

الجمع بين القراءات:

بين القراءتين اتحادٌ في المعنى مع وضوح السبب وتعينه في القراءة الثانية (فبما) عن القراءة الأولى (بما)، فالقراءة الثانية مبيِّنة ومخصصة للقراءة الأولى، بتعين سبب المصائب وهي أعمالهم التي ارتكبوها.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أنَّ ما أصاب الناس من مصيبة فمنه ما هو بسبب معاصيهم وأعمالهم فيجازون عليها في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة، وهذا في حق المشركين والعصاة من المسلمين، ومنه ما هو بسببٍ آخر غير ذلك لخيرٍ أراده الله تعالى لهذا المصاب، ولأجل تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه، وهذا في حق المؤمنين، قال البيضاوي: "والآية مخصوصةٌ بالمجرمين، فإن ما أصاب غيرهم فلأسبابٍ أخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه".[4] فالقراءة الثانية تخص المجرمين فقط، وأما القراءة الأولى فالآية تعمُّ جميع الناس مؤمنين وكافرين، والله تعالى أعلم.

2- قال تعالى: ﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٤﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٥﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الدخان:24-26].

القراءات:

1. قرأ أبو جعفرٍ ﴿ فَكِهِينَ ﴾ بحذف الألف بعد الفاء.
2. قرأ الباقون ﴿ فَٰكِهِينَ ﴾ بإثبات الألف بعد الفاء.[5]

المعنى اللغوي للقراءات:

---

[1]. انظر حجة القراءات لابن زنجلة ص462.

[2]. انظر التحرير والتنوير لابن عاشور م12 ج 25 ص99.

[3]. معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ج2 ص 356.

[4]. تفسير البيضاوي للإمام ناصر الدين البيضاوي ج5 ص131.

[5]. انظر إتحاف فضلاء البشر ص499، البدور الزاهرة ص405.

في لسان العرب: "الفاكِه: الذي كثرت فاكهته، والفَكِه: الذي ينال من أعراض النَّاس، والفَكِه: الأشِر البَطِر، وقرئ: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾، أي: أشرين، وفاكهين أي: ناعمين[1]".

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تعداد النعم الكثيرة التي كان يتمتع بها فرعون وقومُه في حياتهم، كانوا فيها لاعبين لاهين ومسرورين، كانوا أصحاب فاكهةٍ متنوعةٍ متعددةٍ، ولكنَّهم كانوا بطِرين مستَخِفِّين مستهزئين لا يؤدون حقَّ الله تعالى في هذه النعم بالشكر والعبادة، فتركوها خلفهم بعد أن أهلكهم الله تعالى بالغرق، فلم تغن عنهم من الله شيئًا[2].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿ فَٰكِهِينَ ﴾ بالألف بعد الياء: أنَّ فرعون وقومه كانوا أصحاب فاكهة متنوعةٍ ومتعددةٍ وكانوا متنعِّمين طيبي الأنفس.

وأمَّا قراءة ﴿ فَكِهِينَ ﴾ فقد أفادت أنَّهم كانوا يعيشون في نعمٍ كثيرةٍ ولكنهم كانوا أشرين بطرين لهذه النعم مستخِفِّين مستهزئين بشكرها.[3]

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح حال قوم فرعون قبل الإغراق، فقد كانوا ينعمون بأطيب أنواع الفاكهة والثمار وكان لهم الأنهار المتدفقة، والآبار المترعة بالماء وكان لهم المال والخير الوفير، وكانوا ينعمون بعيشةٍ هنيةٍ ويستمتعون بأنواع اللَّذة، ومع كل ذلك فقد كانوا بطرين، مستهزئين ومستخفين بشكر النعمة التي كانوا فيها، والله تعالى أعلم.

3- قال تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾[الزمر: 53].

القراءات:

1. قرأ أبو جعفر ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾ بياء مفتوحة بعد الألف وسكنها ابن وردان بخلافٍ عنه.
2. قرأ الباقون ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾ بغير ياء[4].

---

[1]. انظر لسان العرب لابن منظور ج13 ص523.

[2]. انظر التفسير الواضح ج3 ص65.

[3]. انظر البحر المحيط لأبي حيان ج 8 ص36، اللباب لابن عادل ج17 ص322،.

[4]. انظر النشر في القراءات العشر ج2 ص 663 ، وتحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ص197.

المعنى اللغوي للقراءات:

الحسرة كما قال الراغب: "الغم على مافاته والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه"[1]. وقال ابن منظور: "والحسرة: أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيه،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾[فاطر: 8]، أي: حسرةً وندمًا"[2].

التفسير:

تشير الآية الكريمة إلى الحسرة والندم اللذين يشعر بهما الكافر يوم القيامة بسبب كفره وضلاله ومعصيته، وتفريطه في أوامر الله تعالى، وتقصيره في طاعته وحقه، ولم يقف الأمر به عند هذا الحد، بل كان من المستهزئين الساخرين بشريعة الله ودينه ورسوله والمؤمنين، والآية فيها تحذيرٌ لمن يتقاعس عن التوبة والإنابة إلى الله تعالى والدخول في دينه، بعد أن بَّين لهم في الآيات السابقة سعة رحمته وعظيم مغفرته، وأمرهم بأن يتوبوا إلى الله تعالى ويسلموا له، ويتبعوا أوامره قبل أن يأتيهم العذاب بغتةً، فيتحسرون ويندمون أشدَّ الندم يوم القيامة[3].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿ يَاحَسْرَتَيَ ﴾ بالياء بعد الألف: المبالغة في التحسر والندم يوم القيامة، قال الإمام البقاعي: "ودلَّ على تجاوز هذا التحسر الحد قراءة أبي جعفر ﴿ يَاحَسْرَتَيَ ﴾ بالجمع بين العوض وهو الألف والمعوض عنه وهو الياء، وحلَّ المصدر لأنَّ ما حلَّ إليه أصرح في الإسناد وأفخم وأدل على المراد وأعظم[4]"، وكذلك تفيد تعدد الحسرات يوم القيامة لتتابع الحسرات، حسرةً بعد حسرةٍ ، وربما تفيد تثنية الحسرة.

قال الإمام أبو حيان: "قرأ الجمهور يا حسرتا، بإبدال ياء المتكلم ألفًا، وأبو جعفر: يا حسرتاي، بياء الإضافة، وعنه: يا حسرتايْ بالألف والياء جمعًا بين العوض والمعوض، والياء مفتوحةٌ أو ساكنةٌ.

وقال الإمام أبو الفضل الرازي في كتابه (كتاب اللوامح): "ولو ذهب إلى أنه أراد تثنية الحسرة مثل لبيك وسعديك، لأنَّ معناها لبٌ بعد لبٍ وسعدٌ بعد سعدٍ، فكذلك هذه الحسرة بعد حسرةٍ، لكثرة حسراتهم يومئذٍ، أو أراد حسرتين فقط، من فوت الجنة لدخول النار [5]".

وقال الإمام ابن عاشور: وتعدية الحسرة بحرف الاستعلاء كما هو غالبها للدلالة على تمكن التحسر من مدخول (على)، و(ما) في ﴿ما فَرَّطْتُ﴾ مصدرية، أي على تفريطي في جنب الله[6]".

---

[1]. مفردات ألفاظ القرآن ص235 .

[2]. لسان العرب ج4 ص190.

[3]. انظر جامع البيان للطبري م11 ج24 ص14، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج4 ص62.

[4]. نظم الدرر للبقاعي ج6 ص463.

[5]. البحر المحيط ج7 ص 417.

[6]. التحرير والتنوير م11 ج24 ص45-46.

وأمَّا قراءة ﴿ يَٰحَسْرَتِىٰ ﴾ بالألف بدل ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾ [1] وبدون ياء بعد الألف فإنها تدل على تعظيم الاستغاثة وشدتها حيث إنها أمكن في الاستغاثة بمد الصوت مع الألف، من الياء بدون ألفٍ مع أنَّ كليهما فيهما النداء والإستغاثة والعرب كانت تحول الياء التي في كتابة اسم المتكلم في الإستغاثة ألفًا فتقول يا ويلتا وياندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء.[2]

الجمع بين القراءات:

قراءة (ياحَسْرَتِي) بدون ألف مدية تدل على التحسر والندم والاستغاثة، وقراءة ﴿ يَٰحَسْرَتِىٰ ﴾ بدون ياء الإضافة أضافت معنى: المبالغة والشدَّة في الاصطراخ والاستغاثة والمناداة والندم، وأما القراءة الثانية: ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾ فقد أضافت معنىً آخرَ بالإضافة إلى المبالغة في الاصطراخ والاستغاثة والمناداة والندم وهو: تكرار الحسرات وكثرتها وتتابعها، حسرةً بعد حسرةٍ يوم القيامة على هذا الكافر واستحالة استدراكه ما فاته، فيتحسر على فوت الجنة ويتحسر على دخوله النار، ويتحسر على مافاته في الدنيا دون الرجوع إلى الله تعالى.... وفي ذلك أيضًا دلالةٌ على شدة التحذير والنذير والوعيد للكفار الذين لم يسلموا بعد قوله تعالى: ﴿ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ ﴾ [الزمر 54].

ثانيًا: اختلاف القراءات بالإبدال:

1- قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٨ ﴾[الزخرف: 18].

القراءات:

1. قرأ المدنيان،[3] وابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، ويعقوب ﴿ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بنون ساكنة، وفتح الدال، من غير ألف على أنه ظرف.
2. قرأ الباقون [4] ﴿ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالباء وألفٍ بعدها، ورفع الدال، جمع (عَبْدٍ).[5]

المعنى اللغوي للقراءات:

---

[1]. هذه قراءة الحسن وهي شاذةٌ، واستُشهِدَ بها هنا للدلالة على أنَّ القراءات الأخرى التي قرئ بها على غير ما يلفظه العرب.

[2]. انظر جامع البيان م11 ج24 ص13، والجامع لأحكام القرآن ج8 ص230.

[3]. المدنيان: نافع ويزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني .

[4]. الباقون: باقي القراء العشرة .

[5]. انظر النشر في القراءات العشر ج2 ص369.

قال ابن منظور: "العبدُ: هو الإنسان حرًّا أو رقيقًا، يُذهبُ بذلك إلى أنه مربوبٌ لباريه جل وعز، ويقال فلانٌ عبدٌ بيِّن العبودية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل[1]". يقال: "عبَد اللَّه، عبادةً، وعبوديَّةً: انقاد له وخضع وذَلَّ. ويقال: عبَّدَه: ذلَّله[2]".

التفسير:

تأتي هذه الآية الكريمة استكمالاً لآية سابقة، فيها إنكارٌ شديدٌ على هؤلاء المشركين وبيان حال كفرهم وما وصلوا إليه من افتراءٍ وتكذيبٍ في أن جعلوا الملائكة بنات الله، ومعنى الآية: "لقد جعل الكفار والمشركون الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، فمن قال لهم إنَّ الملائكة إناثٌ؟ هل أحضرهم الله يوم خلق الملائكة فعرفوا أنَّهم إناثٌ، وهل رأوهم وخالطوهم حتى يحكموا عليهم بالأنوثة أو الذكورة؟ إنَّ هذا الافتراء الواضح والسخف الفظيع سيسجَّلُ عليهم في اللوح المحفوظ وسيُسألون عنه يوم الحساب، وسيلقون جزاءهم على هذا الافتراء[3]".

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ على الظرفية تدل على رفع منزلة الملائكة وتقريبهم من الله عز وجل كما قال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلهِ وَلاَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء: 172]، والقرب قرب كرامةٍ وليس قرب المسافة، فمعناه الذين هم أقرب إلى الله منكم[4]. ففي هذه القراءة دلالةٌ على شرف منزلتهم وجلالة قدرهم، وفضلهم على الآدميين.

وأمَّا قراءة ﴿ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ على أنها جمع (عبدٍ)، فيها إخبارٌ أنَّ الملائكة عبادُه، والولد لا يكون عبد أبيه، فهذه القراءة تكذيب للكفار في ادعائهم أنَّ الملائكة إناثٌ بنات الله، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثاً وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الصافات150] وفيها التسوية بين الملائكة وغيرهم في العبودية لله تعالى[5].

الجمع بين القراءات:

القراءتان معًا تعطيان وصفًا دقيقًا للملائكة، أنهم عباد الرحمن تشريفًا لهم، وتنزيهًا عن أن يكونوا أبناء الله، وأنَّهم في منزلةٍ قريبةٍ ودرجةٍ عاليةٍ عند الله تعالى، دلالةً على إخلاصهم في الطاعة والعبودية، وقد جمع الله

---

[1]. انظر لسان العرب ج2 ص271 .

[2]. المعجم الوسيط ص608.

[3]. المستنير في تخريج القراءات المتواترة لمحمد محيسن ج3 ص59.

[4]. تفسير المراغي م9 ج25 ص78.

[5]. انظر الحجة في القراءات السبع ص320، حجة القراءات ص647.

تعالى بين الوصفين في غير هذه الآية فقال: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الأنبياء: 26] [1]، وكلتا القراءتين فيها الإنكار على الكفار والتكذيب لهم في ادعائهم أن الملائكة بنات الله من حيث إنهم جعلوا له من عباده بناتٍ على القراءة الأولى ﴿ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ، وإذا كانوا عند الرحمن في منزلةٍ عاليةٍ وهم في السماء كيف علموا بحالهم وهم أبعد ما يكون للعلم بحالهم[2]على القراءة الثانية ﴿ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.

ثالثًا: اختلاف القراءات بأسلوب الخطاب:

٥- قال تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[الزخرف: 89].

القراءات:

1- قرأ المدنيان وابن عامرٍ ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ بتاء الخطاب.

2- قرأ الباقون ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ بياء الغيب[3].

المعنى اللغوي للقراءات:

قال في لسان العرب: "العلم: نقيض الجهل، وعَلِمْتُ الشيء أي: عرفتُه[4]". وقال الأصفهاني: العلم: إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيءٍ هو موجودٌ له، أو نفي شيءٍ هو منفيٌ عنه[5].

التفسير:

بعد أن أخبر الله تعالى عن علمه بشكوى رسول الله ﷺ قومَه إليه بسبب كفرهم وإصرارهم على عداوته، أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالإعراض عنهم، ونبذ إشراكهم قائلاً: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾، أي: اصفح عن المشركين صفح المغاضب لا الموافق المجامل، وأعرض عمَّا يقولون، وما يرمونك به من السِّحر والكَهَانة، واصبر على دعوتهم إلى أنْ يأتي أمرُ الله، وقل: أمري معكم مسالمةٌ ومتاركةٌ إلى حين، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم، وهذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ من الله لهم، ووعدٌ ضمنيٌ بنصر الإسلام والمسلمين عليهم[6].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

---

[1]. انظر المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ج5 ص49.

[2].انظر بحر العلوم للسمرقندي ج3 ص205.

[3]. انظر النشر في القراءات العشر ج2 ص370، تحبير التيسير ص205.

[4]. انظر لسان العرب ج25 ص417.

[5]. انظر مفردات ألفاظ القرآن ص580.

[6]. انظر التفسير المنير للزحيلي ج25 ص198.

أفادت قراءة: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ بتاء الخطاب على رأي أهل التفسير أنَّ الخطاب موجهٌ إلى سيدنا محمدٍ ﷺ، ليقول ذلك للمشركين على معنى قل لهم يا محمد: ﴿سَلَامٌ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.[1]

وفي قراءة ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ بالخطاب مبالغةٌ وشدةٌ في التهديد والوعيد لكفار قريشٍ لأنَّ التهديد بالمواجهة أشد تأثيرًا وأدلُّ على تناهي الغضب وشدته.[2]

وأمَّا قراءة ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ بالغيب فإنَّها تفيد الإخبار من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بأنهم سوف يعلمون يوم يلاقون العذاب، عاقبة إجرامهم وكفرهم، وفي هذه القراءة تهديدٌ ووعيدٌ أيضًا للكافرين،[3] ووعدٌ من الله لرسوله ﷺ بأنه منتقمٌ من المكذبين.[4]

الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان ثبوت التهديد والوعيد لكفَّار قريش، إلاَّ أنَّ قراءة ﴿تعلمون﴾ بالخطاب أشدُّ تهديدًا وأبلغ في التهويل من قراءة ﴿يعلمون﴾ بالغيب، لأنَّ العتاب بالمواجهة أشد تأثيرًا وأدلُّ على شدة الغضب[5]. وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: قل يا محمد لكفار قريشٍ تهديدًا لهم إنَّكم سوف تعلمون يوم القيامة عاقبة جرمكم وكفركم عندما تلاقون أشد العذاب كما سيعلم غَيْرُهم من الكفَّار والظالمين عاقبة ظلمهم وكفرهم يوم القيامة.

رابعًا: اختلاف القراءات بالبناء للفاعل والمفعول:

1. قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٠ ﴾[فصلت: 20].

القراءات:

1. قرأ يعقوب ﴿ تَرۡجِعُونَ ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم على المبني للفاعل.
2. وقرأ الباقون ﴿ تُرۡجَعُونَ ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على المبني للمفعول[6].

المعنى اللغوي للقراءات:

[1]. انظر جامع البيان م10 ج25 ص63، الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ج2 ص263.

[2]. انظر نظم الدرر للبقاعي ج7 ص6.

[3]. انظر جامع البيان م11 ج25 ص63، الجامع لأحكام القرآن ج8، ص430.

[4]. انظر التحرير والتنوير م12 ج25 ص274.

[5]. انظر حاشية القونوي لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي ج17، ص362، عند تفسيره للآية (85) من هذه السورة.

[6]. انظر الشامل في القراءات المتواترة لمحمد حبش ص248 ، إتحاف فضلاء البشر ص489.

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود، والرَّجْعُ: الإعادة، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات، وقوله: ﴿ ارْجِعُونِ﴾ أي: ردُّوني إلى الدنيا[1].

التفسير:

تعرض هذه الآية الكريمة لمشهدٍ عظيمٍ من مشاهد يوم القيامة- يحدث مع الكفار المجرمين يوم يحشرهم الله تعالى للحساب- لا تتصوره عقولهم، فتشهد عليهم جوارحهم وأعضاؤهم بأمر الله تعالى، بما اقترفوه من جرائم وآثام، فيسألون بتعجبٍ واستغرابٍ جوارحهم وأعضاءهم ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ فترد عليهم الجوارح التي أنطقها الله تعالى، أنَّ الذي أنطقنا هو الله الذي أنطق كل شيءٍ،[2] وقوله: ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، قال الألوسي: "يحتمل أن يكون من تمام كلام الجلود ومقول القول، ويحتمل أن يكون مستأنفًا من كلامه عز وجل، والأول أظهر[3]"، "والمعنى: أنَّ من قدر على خلقكم وإنشائكم ابتداءً قدر على إعادتكم ورجعكم إليه[4]".

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ على البناء للمفعول أنَّ الرجوع يوم القيامة يكون على غير إرادتهم إلى الله تعالى قسرًا وبأيسر أمرٍ، وهم كارهون بقوةٍ خارجةٍ عن الإرادة تدفعهم بالرجوع إلى الله تعالى. وأمَّا قراءة ﴿ تَرْجِعُونَ ﴾ على البناء للفاعل، فقد أفادت وقوع الرجوع منهم وبذاتهم أنهم يرجعون إلى الله يوم القيامة ليحاسبهم سواء كرهوا أم رضوا ذلك. قال ابن عاشور: "والقراءة الأولى- قراءة الضم- على اعتبار أنَّ الله أرجعهم، وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث، والقراءة الثانية- قراءة الفتح- باعتبار وقوع الرجوع منهم بغض النظر عن الاختيار أو الجبر".[5] هذا على اعتبار أنَّ الكلام في قوله: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ من تتمة كلام الجلود. وأمَّا على معنى أن الكلام مستأنفٌ من كلام الله تعالى فربما تفيد معنىً آخر، وهو أنَّ قراءة ﴿ تَرْجِعُونَ ﴾ بالفتح المقصود بها المؤمنون، لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله تعالى، كذلك جاءت بصيغة الرغبة والإرادة، والقراءة الأخرى ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ على المبني للمفعول المقصود بها الكفار لأنَّهم يتمنون عدم الرجوع إلى الله تعالى، ولذلك جاءت بصيغة الإجبار.[6]

الجمع بين القراءات:

---

[1]. انظر مفردات ألفاظ القرآن ص342، لسان العرب ج8 ص114.

[2]. انظر جامع البيان ج21 ص68.

[3]. روح المعاني للألوسي ج24 ص116.

[4]. فتح القدير للشوكاني ج4 ص718.

[5]. انظر التحرير والتنوير م1 ج1 ص377 عند تفسيره للآية (28) من سورة البقرة.

[6]. انظر تفسير الشعراوي ج1 ص231، عند تفسيره للآية (28) من سورة البقرة.

وبالجمع بين القراءتين يتبين المعنى أن الجميع راجعٌ إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب سواءً أحب لقاء الله تعالى واختار الرجوع أم كره لقاءه وأُجبِر على الرجوع.